الفصل الأول

عن مصر والمصريين

"مصر هي مصر"، مقولة متعددة الأوجه والدلالات، ولكنها مقولة خطرة في كل المجالات.

لاشك أن حجم مصر الفعلي الحقيقي اليوم هو ضعف حجمها منذ يونيو وكامب ديفيد، ولكن وزنها النسبي بين العرب ومع العالم أصبح نصف وزنها حينئذ.

إن كل بحث في العالم العربي وخارجه كل يوم يؤكد حقيقة محزنة واحدة وهي أن مصر لم تعد وحيدة على القمة في العالم العربي، بل أصبح لها منافسون عديدون، ومنهم أنداد أو مدعون، ولا شك أن كل العرب كبيرهم وصغيرهم يكنون احتقارا عميقا لمصر الآن وربما كرها ومقتا أيضا، بقدر ما يبدون من احترام وحب ظاهري محض تمثيلي وذلك حفظا لماء الوجه ولعدم الإحراج وعلى أساس "أكرموا عزيز قوم ذل".

مصر التي لا تتغير! مقولة صحيحة تماما – وكانت بالأصح. الآن مصر تتغير جدا – مصر المتغيرة.

كل شيء في مصر وحول مصر يتغير الآن – ولكن – واأسفاه يتغير نحو الأسوأ: في مياه النيل، في العلم العربي والشرق الأوسط، في العلم، في المعيشة،.. إلخ.

ليس دقيقا بالضبط أن مصر رأسها في أوربا وجسمها في أفريقيا.

الصحيح أن مصر رأسها في أوربا، وأقدامها في أفريقيا، وجسمها في العالم العربي.

- في الدلتا: البيض هم القاعدة، والملونون استثناء،
- في الصعيد: الملونون هم القاعدة والبيض استثناء.

درس الزلزال الأساسي هو:

لابد ولا مفر من أن نصبح "دولية عصرية" الدولة العصرية هي حتم العصر. لا مكان لبلد أو لشعب في حضارة العصر وعالمنا المعاصر وهو دولة "نصف عصرية" أو "شبه عصرية"، ودعك تماما من الدولة السلفية اللاعصرية، المتخلفة، البدائية، الدولة النامية اليوم هي التسمية المجامل للدولة المتخلفة، ولكن الحقيقة أن الدولة المتخلفة كانت التسمية المجاملة للدولة البدائية.

حسنا، ما معنى الدولة العصرية؟ بدايتها الوحيدة هي حكم الشعب المدني المثقف، حكم المثقفين باختصار، لقد زالت دولة ..... كما زالت دولة الدين والشيوخ، وكلتاهما ..... صميم ومرادف الدولة المتخلفة.

لأول مرة في تاريخها تواجه مصر موقفا لا يقل عن "التهديد الجغرافي" – فالانقراض الجغرافي تاريخيا، ينبغي أن نصنف ٣ مراحل جوهرية.

١ – **العصور القديمة** والحياة القديمة، طوال التاريخ حتى محمد علي، زراعة فيض وسكان متكافئة مع الأرض والموارد، بلا منافسين من الخارج إقليميا أو خارجيا.

٢ – **العصر الحديث**: من محمد علي حتى عبد الناصر والسد العالي، الري الدائم والاقتصاد الجديد ..... السكان لكن مع بقاء الحالة الراهنة في سائر المجالات، توازن عالي ولكنه ليس خطرا داهما أو وشيكا.

٣ – **عصر الأخطار والخطر**: منذ عبد الناصر والسد العالي حتى الآن وإلى المستقبل غير المنظور، تحولت مصر من حرفة مستقرة ومتوازنة من الثوابت

الرواسخ إلى حرفة مضطربة غير مستقرة من المتغيرات الخطرة التي تضرب في صميم الوجود المصري ليس فقط من حيث المكانة ولكن المكان ذاته.. وأهم هذه المتغيرات:

أ – أصبحت أرض مصر معرضة للتآكل الجغرافي لأول مرة في التاريخ كله وإلى الأبد إذ تحولت من عالم متناه "بالطبع والطبيعة والجغرافيا" إلى "عالم متآكل" بفعل الإنسان، فأولا السد العالي أوقف نمو أرض مصر أفقيا ورأسي.. وعرضها للتآكل البحري والصحراوي.

ب – أصبحت أرض مصر "أرضا مغلقة" بيولوجيا بلا صرف بل مصرف. وبالتالي لا تتجدد مياهها وترتبها، كما لم تعدد وتجدد أرضها وترابها، من ثم أضحت بيئة تلوث نموذجية، وبقدر ما هي بللوزة مركزة طبيعيا، ستصبح بللوزة تلوث مكثفة حتى الموت البيولوجي.

جـ – لأول مرة ظهر لمصر منافسون ومطالبون ومدعون هيدرولوجيا. كانت مصر سيدة النيل، بل مالكة النيل الوحيدة، الآن فقط انتهى هذا إلى الأبد، وأصبحت شريكة محسودة ومحاسبة ورصيدها المائي محدود وثابت وغير قابل للزيادة، إن لم يكن للنقص، والمستقبل أسود، ولت أيام الغرق وبدأت أيام الشرق وغرقت المعاني لا لخطر راجع ولكن دائم. "الجفاف المستديم" بعد "الري المستديم"!.

د – في الوقت نفسه بلغ سكان مصر الذروة غير المتصورة قط، وهكذا بينما القاعدة الأرضية والمكانية انكماش أو ..... ثبات أو انقراض، و..... الطفح السكاني إلى مداه. ولم يبق سوى المجاعة، ونفس عامل السكان الذي تعدى إمكانيات الأرض، أصبح بالوعة للأرض وآكلها لها، فهو لا يتجاوز إمكانيات الأرض فحسب، وإنما يقلصها بقدر ما يتوسع إسكانا في المدن والقرى والطرق حتى سيأتي اليوم الذي تطرد فيه الزراعة تماما من أرض مصر لتصبح كلها مكان سكن، دون مكان عمل (أي دون عمل، أي دون زراعة، أي

دون حياة، أي موت!) لتتحول في النهاية من مكان سكن على مستوى وطن إلى مقبرة بحجم دولة.

هـ – مع كل هذه الانكماشات والانزلاقات والداخلية والذاتية، أتت الكوارث الخارجية لا فرادى ولا بالمثنى ولكن بالجمع والجملة.

- إسرائيل.
- بترول العرب.
- الانقلاب الكون العالمي في الحضارة

والتكنولوجيا والهيمنة الأوربية وسقوط السوفييت.. إلخ، هذا وحده عصف بكل ما تبقى من مكانة مصر، بعد أن تآكل المكان من العوامل الداخلية "المتغيرات الداخلية – تخرب المكان "الخارجية" المكانة.

كل الخيارات أمام مصر في أي مجال ليست للأسف بين "السيئ والأسوأ" فقط، ولكن بين "الأسوأ والأكثر سوءً".

ولأول مرة تتحول من "تعبير جغرافي" إلى "تعبير تاريخي"، بمعنى أنها انتهت وأنها تمت إلى الماضي والتاريخ أكثر مما تنتمي إلى الحاضر، ودعك من المستقبل. بقاؤها واستمرارها من الآن هو مجرد عملية قصور ذاتي inertia هي مشكلة من المشاكل، ولعلها أكبر مشكلة في العالم اليوم.

هذه ليست نظرة متشائمة إطلاق إذا لا مجال البتة للتفاؤل. إنما التشاؤم هو الواقعية، والواقع هو التشاؤم.

نردد كالببغاوات ونختر كالمواشي فكرة أن الاحتكاك الحضاري بأوربا وتحضر مصر (وسائر الشرق) أدى إلى ازدواج الثقافة وإلى التعليم الثنائي المدني والديني.. إلخ. ..... وانفصام شخصية.. إلخ.

هل هذا صحيح؟

كلا بالتأكيد، إنه خطأ شائع ومنطق مغلوط!

في كل الدنيا – أوربا وأمريكا أيضا – هناك الآن وحتى اليوم وكان هناك دائما تعليم ديني خاص، تخصصي جدا، لقلة محدودة جدا من المتعلمين، لتغذية الجهاز الديني (أي الكنيسة إلخ)، وهناك طبعا التعليم المدني الكاسح، ويشمل ٩٩ % من المتعلمين – لأنها علوم الدنيا أي الحياة (وإلا فالمعرفي).

وهذا ما حدث بمصر تماما. كان التعليم الوحيد هو لتعليم الديني الأزهري التقليدي. بكل بساطة، لأنه لم تكن هناك علوم علمية وضعية مدنية.. إلخ، لم يكن هناك "علم"، ولم يكن هناك "عصر العلم" كان هناك فقط، عصر الدين وعلم الدين.

ولكن الدين ليس "علما" بالمعنى المفهوم لكلمة علم. ولا التعليم الديني هو "تعليم" بمعنى تعليم عموم الشعب وملايين التلاميذ.

وإنما هو "تعليم" تخصصي خاص جدا لقلة محدودة جدا ومعدة خصيصا لوظيفة ضيقة جدا هي الجهاز الديني. وقديما حين لم يكن هناك سوى التعليم الديني والعلوم الدينية، وكنا في عصر الجهل والظلام، فلم يكن هناك تعليم ..... للجميع، بل كان التعليم استثناء لقلة محدودة جدا من مجتمع ٩٩% منه في جهل. إذن حتى التعليم الديني في أيامه كان تعليم القلة المتخصصة جدا لوظيفة خاصة جدا.

ثم حين أتى عصر العلم والعلم الحقيقي الطبيعي والوضعي.. إلخ، وأصبح التعليم العام لعموم الشعب ومحو الأمية.. إلخ، كان مستحيلا أن تنصرف الأمة جمعاء إلى التعليم الديني، غير المنتج، غير المجدي حياتيا، وإلا لماتت الأمة جوا. فكان التعليم المدني منطقيا وحتميا وضرورة حياة، وطبيعة الأشياء قبل كل شيء.

وإذا كان التعليم الديني بذلك قد انزوى على الهامش، وأصبح قلة قزمية، فذلك أيضا طبيعة الأشياء.

ولكنه لا يعد ثنائية أو ازدواجية إلا على أساس نكتة الخمسين – خمسين في المائة، خمسين خيول وخمسين أرانب! وحتى لو عد ثنائية بأي معنى، فهي موجودة في جميع دول العالم إسلامية وغير إسلامية!

كفوا أيها الجهلة عن البغبغة!

بلا مدارات، المثل الأعلى لكل مصري طموح متطور هو الرجل الأوربي (+الأمريكي) (=الرجل الأبيض)، والمثل الأعلى لكل مصرية طموحة متقدمة هي المرأة الأوربية (+الأمريكية) (=المرأة البيضاء). المشكلة أن البعض ينجح في تطلعه والبعض يفشل بحكم أنثروبولوجيته! ولكن الجميع في الحالين مقلدون، هذا ينطبق على كل الأجناس والشعوب الأخرى في العالم بدرجات متفاوتة.

سيدرك كل السفهاء في النهاية أن مصر بيئة جغرافية لا تصلح بطبيعتها للرأسمالية المسعورة الجامحة الجانحة. الرأسمالية الهوجاء مقتل مصر الطبيعية.

بيئة حساسة، مرهفة، محدودة الرقعة والأساس fliewy، بل هشة أي عبث إنساني فيها يدمرها كبيئة. والأيام بيننا.

قد تتعرض مصر يوما ما بفضل تاريخها المجيد! إنها تهرب من المستقبل الأسود، بل من الحاضر البشع إلى الماضي التليد! فوافرحتاه – وواكستاه!

يبدو أن البهرة في مصر – القاهرة الفاطمية وشارع الحاكم وجامعه.. إلخ – يريدون أن يكونوا إسفينا شيعيا دائما مقيما على غرار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء من الفرس الإيرانيين.

عمارات الأبراج الشاهقة الآن هي ناطحات سحب أو مثيلها، والكل عبارة عن "الأطراف" الرأسية للمدينة تماما كالأطراف الأفقية في الضواحي إلا أنها عموديا ورأسيا إلى أعلى.

وكلكن عليها ينطبق تماما ما يقال عن سكان الأطراف النائية من المدن. ساكنو الكفور، ساكنو القبور! الأبراج مقابر الأحياء الرأسية!

كما يقول البعض إذا كان المصريون يريدون أن يعدوا فراعنة لا عربا، فليتكلموا الهيروغليفية (!)

نقول: إذا كان الإسلاميون يرفضون الوحدة والقومية العربية والعروبة، ولا يقبلون بغير الإسلامية والوحدة الإسلامية، فإننا نقول لهم: إذا أردتم إلغاء القومية العربية، والذوبان في الوحدة الإسلامية لجميع المسلمين في العالم أي العالم الإسلامي، فلتتركوا لغاتكم القومية وتتبنوا اللغة العربية لغة وحيدة ومشتركة بين كل المسلمين، وبذلك تختفي القومية العربية والعروبة تلقائيا وتذوب في الوحدة الإسلامية الشاملة الجامعة..(!) أليس منطقيا؟

يبدو أن الصعيد محكوم عليه جغرافيا بأن يبقى إلى الأبد معقل التخلف والتعصب والرجعية في مصر وقد يصبح يوما ما مهد الفتنة الطائفية التي تنسف وحدة مصر السياحية لأول ولآخر مرة في التاريخ.

انحدار مصر: تتدحرج الآن بانتظام وبغير انتظام إلى أسفل. والانحدار نفسه يتجه الآن من سيء إلى أسوأ.

قديما كانت مصر تتذبذب يمينا وشمالا على جنبيها بين الشرق والغرب، أي بين آسيا وأوربا أو بين العرب والبحر المتوسط.

الآن أضيف بعد جديد وأدنى من التذبذب، فصارت تتذبذب بطولها ما بين الشمال والجنوب بالإضافة أي بين أوربا وأفريقيا.

والذبذبة الآن بين الشرق والجنوب في الجانب الأسوأ، وبين الغرب والشمال في الجانب الأحسن.

لأول مرة في التاريخ يتغير مكان مصر في العالم ومكانتها إلى الأسفل، فتجد نفسها لأول مرة في وضع من العالم لم يسبق من قبل. وهو أنها كيان منكمش في عالم متمدد، أنها كيان متقلص في عالم متوسع، هي تزداد كل يوم ضآلة نسبية وصغرا وضعفا، ولأول مرة تجد نفسها محوطة ومحاصرة بمنافسين

وأعداء في جميع المجالات وعلى جميع المستويات بعد أن عاشت آلاف السنين بلا شركاء أو منافسين أو أعداء حقيقيين أنداد أو ألداء.

مصر الآن تهرب دائما إلى الأمام. هذا تكتيكها بل هو استراتيجية العجز والسقوط نتيجة لها وسبب. هربت من فلسطين إلى الخليج. من تحرير فلسطين إلى أمن الخليج وحرب الخليج. مصر الآن تهرب من الخليج إلى الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا.

كل ذلك لتخفي عارها وعجزه. ولكن هيهات.

منطقة أسوان أصبحت "أرضا واحدة جيولوجيا" منذ بحيرة ناصر.. كل يوم ٤ – ٥ هزات متوسطة بلا انقطاع قط حتى الآن!!!

سيكون عار مصر الأكبر والأبدي إذا نجحت دولة عربية أخرى في تحرير فلسطين ونصفته إسرائيل يوما ما (جدلا). ولكنه سيكون عار العرب الأكبر والأبدي جميعا إذا نجحت دولة إسلامية غير عربية (كإيران مثلا) في تحرير فلسطين ونصفته إسرائيل يوما ما (جدلا). وفي الحالة الأخرى الأخرى فسيعني هذا خروج مصر إلى الأبد من التاريخ ودخولها مزبلته (فضلا عن الزعامة والعروبة والعبارات الرنانة إلخ إلخ!) وفي الحالة الثانية فسيعني ذلك خروج العرب إلى الأبد من التاريخ ودخولها مزبلته، مع انتقال زعامة العالم الإسلامي نهائيا كليا إلى خارج العالم العربي.

مصر سقطت في العالم العربي نهائيا فقدت الزعامة والقيادة وتحولت من قائدة العرب إلى قوادة العرب (إلى مخدع أمريكا وإسرائيل).

المهم: بداية نهاية مصر عربيا كامب ديفيد ونهاية النهاية حرب العراق.

ثم بعد ذلك طردت مصر نهائيا من الشرق الأوسط ببروز إيران وتركيا واقتحامهم للعالم العربي وانحدار مصر بالنسبة إليهما.

الآن: مصر ستتحول بقوة عن العالم العربي والشرق الأوسط لتصبح أفريقية

جدا لا لتقود أو تسيطر حيث تعد دخيلة طفيلية مرفوضة ومنبوذة بين السود، ولكن لتدافع عن مصيرها المهدد زنجيا: مياه النيل حيث تضرب الآن كمرحلة ولية مثلما ضربت وهزمت في الشمال على يد إسرائيل وبترول العرب.

إن مستقبل مصر أسود!

فقدت مصر زعامتها في العالم العربي ومكانتها القديمة. كانت مصر زعيمة العرب ماليا وأدبيا، اقتصاديا وسياسيا. ولكن بعد أن فقدت مصر هذه الزعامة، فإننا لا نجد وريثا لها بوضوح. لماذا؟ لأن وراثة مصر كانت أكبر من أي دولة عربية أخرى منافسة. والذي حدث أن قسمت وراثة مصر بين دولتين أو أكثر. فانتقلت الزعامة الاقتصادية المادية إلى الخليج (البترول)، والسياسية إلى العراق (حتى ..... بفضل كارثة الخليج، فهو بلا جدال بديل مصر عبد الناصر). فكما انتقلت الأهمية من قناة السويس إلى الخليج، انتقلت الزعامة من مصر إلى القوس الشرقي ..... السعيدة.

مشاريع إسرائيل والصهيونية والغرب لتفتيت مصر أو تقسيمها إلى ٣ دول أو أكثر، هذا الهراء السفيه المجنون لا ينبغي أن ..... في رأس مصر! إن رؤية الوجه الآخر للقمر أسهل، فضلا عن الوصول إلى القمر.

لماذا؟ ببساطة لأن مصر أقدم وأعرق دولة في الجغرافيا السياسية للعالم، غير قابلة للقسمة على اثنين أو أكثر مهما كانت قوة الضغط والحرارة! مصر هي "قدس أقداس" السياسة العلمية والجغرافيا السياسية، ومن المتصور تماما وإن بدرجات متفاوتة أن تنكمش أو تنقسم كل دول العالم بلا استثناء إلا مصر! لماذا مرة أخرى لأن مصر السياسية هي ببساطة من خلق الجغرافيا الطبيعية – لا التاريخ ولا السياسة ولا الصدفة ولا القوة. إنها نبت طبيعي بحت.

كانت جبهة مصر الشمالية على البحر هي بدايات مصر فأصبحت الآن نهايات مصر. أيام دمياط ورشيد كانت هي بدايات أرض مصر، بدايات مصر

البرية، فأصبحت الآن نهايات أرض مصر، نهايات مصر البحرية؛ لأنها أصبحت تفضي إلى لا شيء ومغلقة dead end- lands end تماما كأسوان على القطب المضاد.

هذا بعد الانتقال إلى الإسكندرية التي أصبحت بوابة مصر فعلا، المدخل والمخرج (الوحيد تقريبا عمليا)، أما بورسعيد فليست بوابة حقيقية، ولكن محطة طريق على الهامش، أكر منها بوابة هامشية لا جانبية.

كان لمصر دائما فتحة وحدة أو اثنتان على الأكثر طوال التاريخ، ولغيرها كانت مصر تعد قمقما مغلقا أو تعيش في قمقم مغلق، كانتون مسدود من الناحيتين إلا من فتحة ضيقة كالثغرة تتنفس منها مصر "أنف مصر" ذو منخرين وأحيانا ذو منخر واحد!

الفرق بين مصر وبعض الدول المحيطة أن الأخيرة أصبح عندها "فائض قوة" يفيض خارج حدودها أطماعا وطموحات.. إلخ، بينما أصبح عند مصر "فائض أزمة" تغرق بها داخل حدودها! وتلك هي المشكلة!

حقيقة هامة.. ولكن الحقيقة الأغرب هي أن مصر والعالم العربي هي كذلك أيضا من الناحية المعيشية فهي مجمع الأجناس وتفرق السلالات! عندها تتقارب كل الأجناس الرئيسية، وتتباعد معظم السلالات الفرعية.

الارتباط هنا والتناظر ليس عشوائيا بل هو وظيفي وعضوي ومنطقي، بسبب الموقع الجغرافي الأوسط.

فقدت مصر ربع وزنها وثقله ودورها ومجدها السياحي والتاريخي سنة ١٩٤٨ بقيام إسرائيل.

وفقدت نصف وزنها بهزيمة ١٩٦٧، ثم فقدت بقية وزنها جميعا في كامب ديفيد.

مصر الآن خشبة محنطة، مومياء سياسية كمومياواتها الفرعونية القديمة، ولا عزاء للخونة!

كما كانت السويس ١٩٥٦ مقلوب كوبا، كانت حرب الخليج ١٩٩٢ مقلوب حرب السويس ١٩٥٦ للأسف. حتى موقف سكرتير الأمم المتحدة كان بالمقلوب، ودور الاتحاد السوفيتي، وأمريكا وعرب البترول.. إلخ.

ولهذا كان طبيعيا جدا: دارت القومية العربية ١٩٥٦ على ضفاف القنال، ووئدت ١٩٩٢ على شط الخليج.

عبد الناصر هو أول حاكم أو زعيم مصري يكتشف جوهر شخصية مصر السياسية ووضع يده على صيغة السياسة الخارجية لمصر كما ينبغي في التخطيط السياسي الأمثل. لم يخترعها بالطبع (لا أحد يخترها، إلا أن تكون الجغرافيا والتاريخ) ولا كان هو أول من شخصها وتعرف عليها نظريا، فكثير من عناصره كان شائعا بين مثقفي المرحلة ونوقش مرارا في وسائل الإعلام والثقافة العامة، ولكنه كان أول من بلورها فكريا إلى حد ما ثم طبقها عمليا إلى أقصى حد، ونقلها من الفكر السياسي أو السياسية النظرية والنظرية السياسية إلى التطبيق السياسي أو السياسة التطبيقية، ومن هنا كان أول – وللأسف آخر – حاكم أو زعيم مصري "جغرافي"، أي عرف وطبق جغرافية مصر السياسية كما ينبغي أن تكون، ولا تنس أن دوائره الثلاث هي صيغة جغرافية (تصوغ) خريطة جيوبوليتيكية أصيلة. طبعا وليس معنى هذا أنه كان جغرافيا بالطبع أو الحدس، ولكنها الحاسة الجغرافية الكامنة في كل من يتصدى للعمل الوطني القومي بالضرورة.

الذي فعلته مصر مع العالم العربي والشرق الأوسط، بخروجها من الصراع ضد إسرائيل، هو تماما كالذي فعله الاتحاد السوفيتي مؤخرا مع الولايات المتحدة بخروجه من الصراع وإعلان الاستسلام والعجز والتسليم. (وكل من مصر والاتحاد السوفيتي انتحر).

الفراغ الذي تركته مصر تحاول تركيا وإيران ملأه في الشرق الأوسط. أما

الفراغ الذي تركه الاتحاد السوفيتي السابق فهو يشمل العالم أجمع.

عبد الناصر في جوهره هو محرر "مسودة" draft للمستقبل. بروفة، تجربة، بروتوتيب Blue- pint للمستقبل، مجرد بداية لا نهاية.

المسألة ببساطة هي أن الناصرية هي الانتماء العلمي لمصر فإذا روضتها روضت الانتماء لمصر أي عاديت مصر. وهذا متاح فقط لغير المصري، ولكنه من المصري خيانة سافرة للوطن. الناصرية هي الوطنية العملية السوية، هي الوطنية الحميدة في التطبيق Benign هي أصول جغرافية مصر السياسية في التطبيق العملي القديم. ولذلك لا يمكن لأي حاكم مصري إلا أن يكون جغرافي مصر السياسي التطبيقي وإن لم يدر أو يرد.

مشكل مصر لا حصر لها في الداخل والخارج ولكن مشكلة واحدة ستحدد مصير مصر في النهاية وهي نفسها التي حددت مصير عبد الناصر من قبل فكما قلنا إن عبد الناصر سيبقى أو يسقط على أساس قضية واحدة هي فلسطين/ إسرائيل، فكذلك ستبقى مصر أو تسقط إلى الأبد على نفس القضية، ما عدا ذلك، فدجل مقصود.

وقاعدة عملية ثابتة لا تتغير كل يوم أو يمكن أن تذهب كالمذهب ثم تجئ وتذهب إلخ، وأخيرا فهي قانون علمي موضوعي لا بديل له ولا تبديل يقع خارج الأشخاص والأزمان – ببساطة قانون مصر السياسي الحتمي وقانون السياسة المصرية كما ينبغي لهذا فلا ترتبط بعقد القاهرة ولا تنتهي بانتهائه، وهي فرض على كل حاكم بعده ولو كان حتى ضده. باختصار وتلخيص نهائي أن الناصرية هي المصرية كما ينبغي أن تكون، أي المصرية كما ينبغي أن تكون المصرية.

وأنت مصري إذن أنت ناصري، ولو كرهت ولو كره الكافرون، إلا إذا كنت غير مصري أو ضد – مصري!

وكلنا ناصريون حتى لو لم ندر أو لم نقبل وفعلا "كلنا جمال عبد الناصر" كما قال هو مرارا، حتى ولو انفصلنا عنه أو رفضناه كشخص أو كإنجاز، وكل حاكم بعد عبد الناصر لا يملك أن يخرج على الناصرية ولو أراد، إلا وخرج عن المصرية، أي كان خائنا، وهذا فعلا ما فعل الخائن السادات وتابعه حقه مبارك. والنتيجة أنك إذا كنت ضد ناصري (لا ضد ناصر) فكنت ضد مصر، أي خائن لمصر أي خائن وطن، أي فاشي أعظم أو أحقر.

ويمكن لكل مصري (وهذا حقه المطلق) أن يرفض عبد الناصر، ولكنه لا يستطيع أن يرفض الناصرية إلا وكان رافضا لمصريته، فأنت لا تستطيع أن تهرب من الناصرية، فهي قدر مصر رغم أنفك أو رغبتك، ببساطة لأنها بوصلة مصر وقبلة مصر.

في ظل الاستعمار البريطاني في العالم العربي ولم يكن البترول قد ظهر أيضا، كانت زعامة وقيادة العالم العربي لمصر تلقائيا ومنطقيا وبلا منازعة و منازل.

في ظل الهيمنة الأمريكية الآن، وأمركة العرب، مع طفرة البترول المجنونة، انتقلت الزعامة خارج مصر، إلى "البترولبين" الأماركة" (اللوبي العربي الأمريكي) أو على الأقل لم تعد مصر قائدة العرب لا .....

في المرحلة الانتقالية بين المرحلتين السابقتين وصل ..... عبد الناصر قمة زعامته، ولكنها للأسف كانت قصيرة العمر، ولم يستطع أن يرى نذر المستقبل الأسود (أي البترول).

لم تكن الناصرية لغزا أو طلسما أو فلسفة غامضة محلقة معقدة، وإن كانت غير محددة تماما وهلامية نوعا. ولعلها شعار كبير رنان لمبدأ بسيط أولي، وهو "مصر كما ينبغي أن تكون، مصر المثالية" فالناصرية ببساطة هي "مصر العظمى" great Egypt وليس greater Egypt.

ولذا فالناصرية هي "بوصلة مصر الطبيعية"، وكل مصري طموح يريد صالح مصر قوته غريزة غنية مستقلة (بكل ما يعني ويتطلب هذا داخليا وخارجيا، بما في ذلك فلسطين/ إسرائيل، العرب، العالم، العرب..إلخ) هو ناصري قبل الناصرية وبعدها وبدونها.

لا يمكن أن يكون هناك ذرة شك في أننا حتى اليوم ما زلنا نعيش "عصر الهزيمة"، منذ ٥ يونيو نعيش في كل نتائجها وأعقابها (إلا قليلا جدا) والمنطقة كلها مهزومة راكعة مضروبة ..... حتى اليوم، بل إن نتائجها السلبية تتزايد كل يوم بمعدل الربح المركب بأنها تراكمية.. ونحن ننحدر ونتدحرج كل يوم إلى أسفل سافلين أكثر من المس، وغدا أكثر من اليوم وهكذا.

لا يشك عاقل أن مصر منذ كامب ديفيد لم تعد مستقلة ذات سيادة، وإنما هي محمية أمريكية تحت الوصاية الإسرائيلية، أو العكس، محمية إسرائيلية تحت الوصاية الأمريكية.

كامب ديفيد كانت إعلانا من جانب مصر لإسرائيل أن خذي ما تقدرين عليه من فلسطين، ولنأخذ الفلسطينيون ما يقدرون عليه منها أو منك (أي ما تبقى إن وجد!)

يعني كامب ديفيد: إطلاق يد إسرائيل في فلسطين، مقابل إطلاق يد مصر في سيناء!

تماما كالوفاق الثنائي الإنجليزي الفرنسي حول مصر – مراكش!

كانت كامب ديفيد هي بداية لعبة (أو لعنة) الدومينو بين العرب، به بدأ أنصار الموقف والحق العربي، وكان إشارة البدء لسائر العرب أن ينجو كل بنفسه، ودعك من فلسطين انج سعد فقد هلك سعيد! ولا غرابة أن نجد الدول العربية جميعا القريب منها والبعيد عن إسرائيل تهرول خفية أو علنا للاعتراف والتطبيع.. إلخ.

نهاية التاريخ العربي، نهاية العرب:

كانت ٥ يونيو بداية النهاية (للعرب ولمصر)

وكانت كامب ديفيد نهاية النهاية (للعرب ولمصر)

موقف المعارضة في مصر من النظام هو كموقف النظام من إسرائيل: مهادنة وتعايش وقبول – أي استسلام وركوع وخيانة. لقد انتهت المعارضة في مصر، إما قبل قيمها وإما بعدها بقليل!

كانت فلسطين/ إسرائيل هي ببساطة كالآتي.. طلبت الصهيونية العالمية دولة لليهود في فلسطين فأسسها لهم العرب!

المعنى: قيام إسرائيل وضياع فلسطين هو مسئولية العرب والعجز العربي والخيانة العربية والجبن العربي والتفرق العربي.

الذي حدد نتيجة الصراع العربي – الإسرائيلي هو الصراع العربي – العربي.

الفلسطينيون لم يبيعوا فلسطين لليهود ولكن العرب هم الذين باعوا فلسطين والفلسطينيين لإسرائيل!

إسرائيل تدرك تماما أن الحل السلمي إذا تحقق وأسفر عن دولة فلسطينية مستقلة، فإن هذا لن يكون نهاية المطاف أو نهاية الصراع بل نهاية إسرائيل – بداية النهاية، لماذا؟ لأن هذه الدولة الفلسطينية ليست هدف.

لا معنى للعرب وللإسلام، لا معنى للعالم العربي ولا للعالم الإسلامي، بغير فلسطين.

ضياع فلسطين هو زوال للعروبة والعرب والعالم العربي والإسلام والمسلمين والعالم الإسلامي.

محور الكون والوجود والحياة أصبح فلسطين حتى تعود.